

# أنتبه! الإسلام

## طفولة الرسول ﷺ

بنتهم : السيدة خديجة  
 بهيمة : السيدة فاطمة  
 إسماعيل : السيد علي

المؤسسة العربية الحديثة  
 طبع و نشر في بيروت  
 ١٩٨٥ - ١٩٨٦ - ١٩٨٧  
 طبع في بيروت



# أشبال الإسلام

1

الطفولة، مرحلة مهمة للغاية، وهي ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان في شبابه وفي رجولته.

وهي هذه السلسلة تطالع،

صوراً مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة والخارقة والرجولة المبكرة عند أبطال صفار، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم، فكان من بينهم، العالم، والمحارب الشجاع، وقائد الجيش.

إن الطفل الصغير، يستطيع أن يعرف دوره في الحياة، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه.

وسوف يجد الطفل المتعة في أثناء قراءة هذه السلسلة التي كتبت بأسلوب قصصي مشوق ولغة أدبية شافية.

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الآداب  
جامعة عين شمس

بسم الله  
والحمد لله

## طفولة الرسول

بقلم: أ. وحيه يعقوب السيد

بريشة: أ. عبد الشافي السيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى

الطبعة  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
10 - 11 - 12 - 13 - 14 - 15 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 23 - 24 - 25 - 26 - 27 - 28 - 29 - 30 - 31 - 32 - 33 - 34 - 35 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 41 - 42 - 43 - 44 - 45 - 46 - 47 - 48 - 49 - 50 - 51 - 52 - 53 - 54 - 55 - 56 - 57 - 58 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 64 - 65 - 66 - 67 - 68 - 69 - 70 - 71 - 72 - 73 - 74 - 75 - 76 - 77 - 78 - 79 - 80 - 81 - 82 - 83 - 84 - 85 - 86 - 87 - 88 - 89 - 90 - 91 - 92 - 93 - 94 - 95 - 96 - 97 - 98 - 99 - 100 - 101 - 102 - 103 - 104 - 105 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 - 113 - 114 - 115 - 116 - 117 - 118 - 119 - 120 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 132 - 133 - 134 - 135 - 136 - 137 - 138 - 139 - 140 - 141 - 142 - 143 - 144 - 145 - 146 - 147 - 148 - 149 - 150 - 151 - 152 - 153 - 154 - 155 - 156 - 157 - 158 - 159 - 160 - 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 166 - 167 - 168 - 169 - 170 - 171 - 172 - 173 - 174 - 175 - 176 - 177 - 178 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 - 185 - 186 - 187 - 188 - 189 - 190 - 191 - 192 - 193 - 194 - 195 - 196 - 197 - 198 - 199 - 200 - 201 - 202 - 203 - 204 - 205 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210 - 211 - 212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 219 - 220 - 221 - 222 - 223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 230 - 231 - 232 - 233 - 234 - 235 - 236 - 237 - 238 - 239 - 240 - 241 - 242 - 243 - 244 - 245 - 246 - 247 - 248 - 249 - 250 - 251 - 252 - 253 - 254 - 255 - 256 - 257 - 258 - 259 - 260 - 261 - 262 - 263 - 264 - 265 - 266 - 267 - 268 - 269 - 270 - 271 - 272 - 273 - 274 - 275 - 276 - 277 - 278 - 279 - 280 - 281 - 282 - 283 - 284 - 285 - 286 - 287 - 288 - 289 - 290 - 291 - 292 - 293 - 294 - 295 - 296 - 297 - 298 - 299 - 300 - 301 - 302 - 303 - 304 - 305 - 306 - 307 - 308 - 309 - 310 - 311 - 312 - 313 - 314 - 315 - 316 - 317 - 318 - 319 - 320 - 321 - 322 - 323 - 324 - 325 - 326 - 327 - 328 - 329 - 330 - 331 - 332 - 333 - 334 - 335 - 336 - 337 - 338 - 339 - 340 - 341 - 342 - 343 - 344 - 345 - 346 - 347 - 348 - 349 - 350 - 351 - 352 - 353 - 354 - 355 - 356 - 357 - 358 - 359 - 360 - 361 - 362 - 363 - 364 - 365 - 366 - 367 - 368 - 369 - 370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 375 - 376 - 377 - 378 - 379 - 380 - 381 - 382 - 383 - 384 - 385 - 386 - 387 - 388 - 389 - 390 - 391 - 392 - 393 - 394 - 395 - 396 - 397 - 398 - 399 - 400 - 401 - 402 - 403 - 404 - 405 - 406 - 407 - 408 - 409 - 410 - 411 - 412 - 413 - 414 - 415 - 416 - 417 - 418 - 419 - 420 - 421 - 422 - 423 - 424 - 425 - 426 - 427 - 428 - 429 - 430 - 431 - 432 - 433 - 434 - 435 - 436 - 437 - 438 - 439 - 440 - 441 - 442 - 443 - 444 - 445 - 446 - 447 - 448 - 449 - 450 - 451 - 452 - 453 - 454 - 455 - 456 - 457 - 458 - 459 - 460 - 461 - 462 - 463 - 464 - 465 - 466 - 467 - 468 - 469 - 470 - 471 - 472 - 473 - 474 - 475 - 476 - 477 - 478 - 479 - 480 - 481 - 482 - 483 - 484 - 485 - 486 - 487 - 488 - 489 - 490 - 491 - 492 - 493 - 494 - 495 - 496 - 497 - 498 - 499 - 500 - 501 - 502 - 503 - 504 - 505 - 506 - 507 - 508 - 509 - 510 - 511 - 512 - 513 - 514 - 515 - 516 - 517 - 518 - 519 - 520 - 521 - 522 - 523 - 524 - 525 - 526 - 527 - 528 - 529 - 530 - 531 - 532 - 533 - 534 - 535 - 536 - 537 - 538 - 539 - 540 - 541 - 542 - 543 - 544 - 545 - 546 - 547 - 548 - 549 - 550 - 551 - 552 - 553 - 554 - 555 - 556 - 557 - 558 - 559 - 560 - 561 - 562 - 563 - 564 - 565 - 566 - 567 - 568 - 569 - 570 - 571 - 572 - 573 - 574 - 575 - 576 - 577 - 578 - 579 - 580 - 581 - 582 - 583 - 584 - 585 - 586 - 587 - 588 - 589 - 590 - 591 - 592 - 593 - 594 - 595 - 596 - 597 - 598 - 599 - 600 - 601 - 602 - 603 - 604 - 605 - 606 - 607 - 608 - 609 - 610 - 611 - 612 - 613 - 614 - 615 - 616 - 617 - 618 - 619 - 620 - 621 - 622 - 623 - 624 - 625 - 626 - 627 - 628 - 629 - 630 - 631 - 632 - 633 - 634 - 635 - 636 - 637 - 638 - 639 - 640 - 641 - 642 - 643 - 644 - 645 - 646 - 647 - 648 - 649 - 650 - 651 - 652 - 653 - 654 - 655 - 656 - 657 - 658 - 659 - 660 - 661 - 662 - 663 - 664 - 665 - 666 - 667 - 668 - 669 - 670 - 671 - 672 - 673 - 674 - 675 - 676 - 677 - 678 - 679 - 680 - 681 - 682 - 683 - 684 - 685 - 686 - 687 - 688 - 689 - 690 - 691 - 692 - 693 - 694 - 695 - 696 - 697 - 698 - 699 - 700 - 701 - 702 - 703 - 704 - 705 - 706 - 707 - 708 - 709 - 710 - 711 - 712 - 713 - 714 - 715 - 716 - 717 - 718 - 719 - 720 - 721 - 722 - 723 - 724 - 725 - 726 - 727 - 728 - 729 - 730 - 731 - 732 - 733 - 734 - 735 - 736 - 737 - 738 - 739 - 740 - 741 - 742 - 743 - 744 - 745 - 746 - 747 - 748 - 749 - 750 - 751 - 752 - 753 - 754 - 755 - 756 - 757 - 758 - 759 - 760 - 761 - 762 - 763 - 764 - 765 - 766 - 767 - 768 - 769 - 770 - 771 - 772 - 773 - 774 - 775 - 776 - 777 - 778 - 779 - 780 - 781 - 782 - 783 - 784 - 785 - 786 - 787 - 788 - 789 - 790 - 791 - 792 - 793 - 794 - 795 - 796 - 797 - 798 - 799 - 800 - 801 - 802 - 803 - 804 - 805 - 806 - 807 - 808 - 809 - 810 - 811 - 812 - 813 - 814 - 815 - 816 - 817 - 818 - 819 - 820 - 821 - 822 - 823 - 824 - 825 - 826 - 827 - 828 - 829 - 830 - 831 - 832 - 833 - 834 - 835 - 836 - 837 - 838 - 839 - 840 - 841 - 842 - 843 - 844 - 845 - 846 - 847 - 848 - 849 - 850 - 851 - 852 - 853 - 854 - 855 - 856 - 857 - 858 - 859 - 860 - 861 - 862 - 863 - 864 - 865 - 866 - 867 - 868 - 869 - 870 - 871 - 872 - 873 - 874 - 875 - 876 - 877 - 878 - 879 - 880 - 881 - 882 - 883 - 884 - 885 - 886 - 887 - 888 - 889 - 890 - 891 - 892 - 893 - 894 - 895 - 896 - 897 - 898 - 899 - 900 - 901 - 902 - 903 - 904 - 905 - 906 - 907 - 908 - 909 - 910 - 911 - 912 - 913 - 914 - 915 - 916 - 917 - 918 - 919 - 920 - 921 - 922 - 923 - 924 - 925 - 926 - 927 - 928 - 929 - 930 - 931 - 932 - 933 - 934 - 935 - 936 - 937 - 938 - 939 - 940 - 941 - 942 - 943 - 944 - 945 - 946 - 947 - 948 - 949 - 950 - 951 - 952 - 953 - 954 - 955 - 956 - 957 - 958 - 959 - 960 - 961 - 962 - 963 - 964 - 965 - 966 - 967 - 968 - 969 - 970 - 971 - 972 - 973 - 974 - 975 - 976 - 977 - 978 - 979 - 980 - 981 - 982 - 983 - 984 - 985 - 986 - 987 - 988 - 989 - 990 - 991 - 992 - 993 - 994 - 995 - 996 - 997 - 998 - 999 - 1000



قد تعجز الكلمات عن تصوير مشاعر المرء ، وهو يحاول أن يتحدث عن طرف من حياة (محمد) ﷺ .

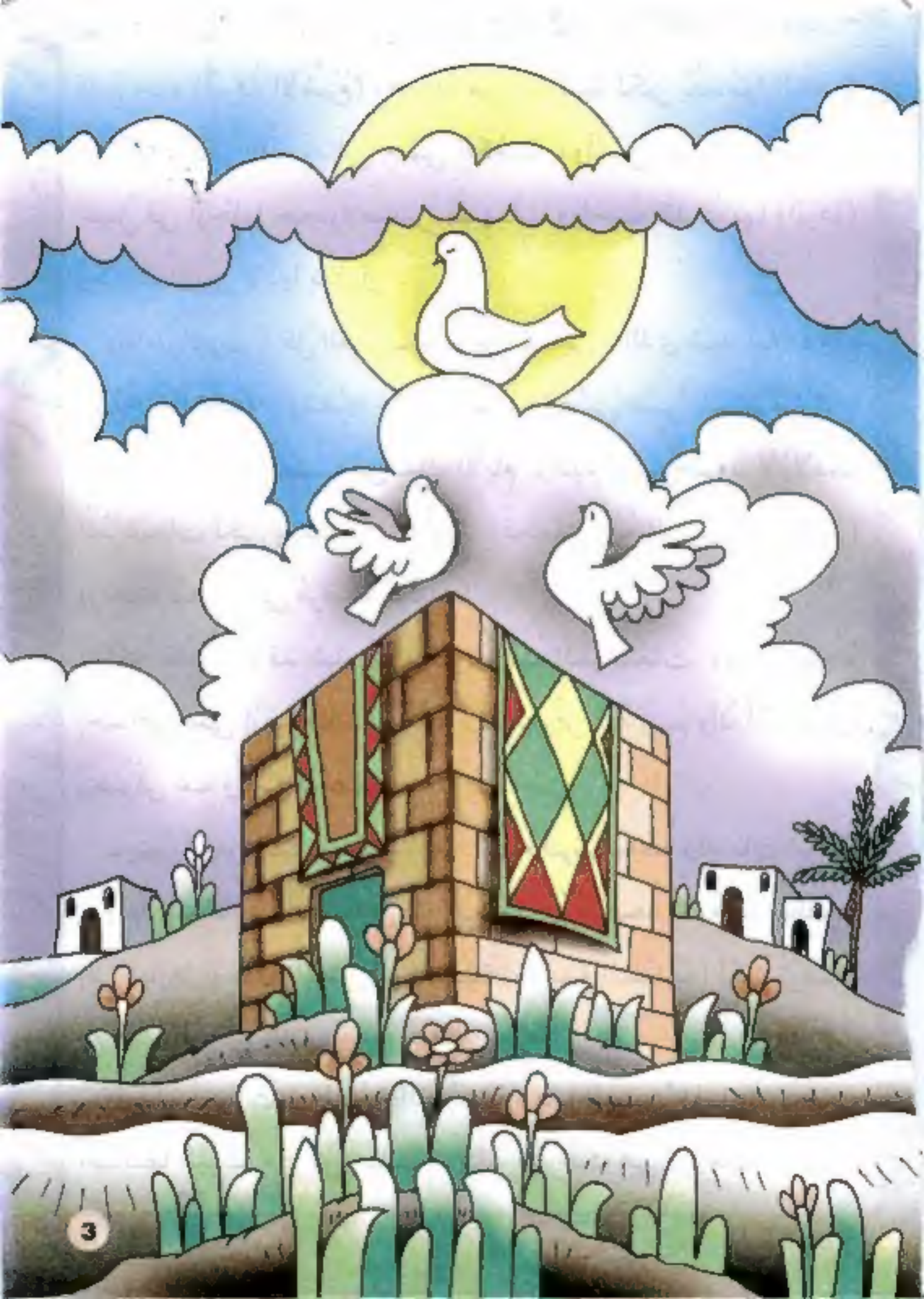
النور الذي انبثق من (مكة) من قلب الظلام ، فأضاء القلوب والعقول قبل أن يضيء المكان .

الشمس التي أشرقت ، فسرى ضوؤها ودفعوها في الأفتدة والجوانح .  
طفولته ﷺ هي النموذج الأمثل والقذوة الحسنة ، التي يجب أن يقتدى بها كل أطفال الدنيا .

ذلك لأنها كانت طفولة أعظم إنسان مشى على ظهر الأرض ..  
طفولة اجتمعت فيها كل معاني الكمال والعظمة والجلال . ظهرت فيها الرجولة المبكرة ، والبطولة ، والإحساس بالمسئولية .  
وما أجمل أن يكون البدء قبسا من نور (محمد) صلوات ربي وسلامه عليه ..

وهو لا يزال جنينا في بطن أمه ، مات أبوه (عبد الله بن عبد المطلب) ، وكانت أمه (أمنة بنت وهب) تشعر بأنها تحمل في أحشائها نورا ، وتشعر شعورا أكيدا بأن الذي تحمله ليس طفلا عاديا .  
وبعد انقضاء أشهر الحمل ، وضعت (أمنة بنت وهب) أفضل مخلوق ، وذلك يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول .  
وفي هذا العام الذي ولد فيه (محمد) شهد العرب معجزة خارقة .







فقد جاء (أبرهة الأشرم) وجنوده من الحبشة لكي يهدموا الكعبة المشرفة ، لكن الله تعالى حمى الكعبة ، وأرسل طيوراً من السماء تحمل في أرجلها حجارة صغيرة ملتهبة ، وراحت تقذف بها (أبرهة) وجنوده الذين لاذوا بالفرار .

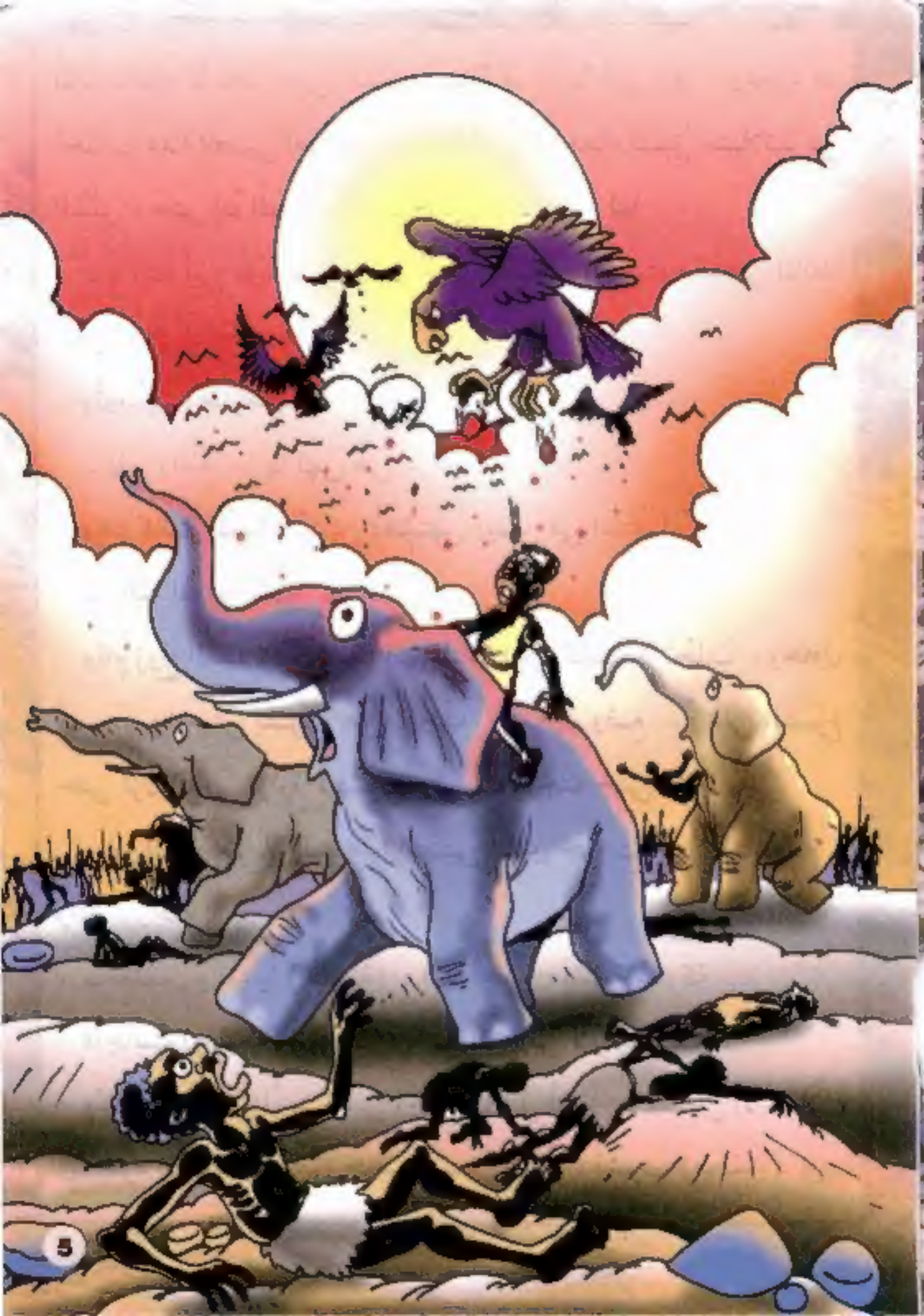
وتفأل العرب - كل العرب - بمولد هذا الصبي ، الذي شهد ميلاده هذه المعجزة الخالدة ، وشعروا جميعاً بأن هذا الصبي صبي ميمون مبارك . وكانت عادة العرب في تلك الأيام ، أنهم يستأجرون لأولادهم المرضعات لكي ينشئوا نشأة قوية ، فحملته أمه إلى سوق (عكاظ) وراحت تبحث عن مربية لولدها .

لكن قدر الله قد شاء أن تنصرف عنه المرضعات ، ولم تشجع إحداهن على إرضاعه ، فمجرد أن يعرفن أنه يتيم وأن أمه فقيرة ينصرفن عنه ويقلن لبعضهن :

- يتيم ؟ ومن الذي سيكافئنا بعد انتهاء فترة رضاعته وقد مات أبوه ؟ وبعد أن كادت أمه تئس من أن تجد له مربية ، وهمت بالعودة إلى ديارها ، ساق القدر إليه السيدة (حليمة السعدية) لكي ترضعه مع ابنها الرضيع الذي كان في مثل عمره .

ومما إن أخذت (حليمة السعدية) هذا الصبي المبارك ، حتى أصابها البركة من كل جانب ، فقد خرجت هي وزوجها ومعهما







أَتَانُ عَجْفَاءُ لَا تَقْدُرُ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَنَاقَةٌ مُسِنَّةٌ لَا لَبَنَ فِيهَا ، وَبِمَجْرَدٍ أَنْ  
أَخَذَتْ هَذَا الصَّبِيَّ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْأَتَانُ الْعَجْفَاءُ تَسْبِقُ مَثِيلَاتَهَا فِي  
السَّيْرِ ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْضَعَاتِ لَاحْظْنَ ذَلِكَ فَقُلْنَ لَهَا :

— يَا ابْنَةَ أَبِي ذُوئُبٍ ، وَيَحْكُ أَرْبَعَى عَلَيْنَا ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ أَتَانُكَ  
الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟

وَتُجِيبُهُمْ (حَلِيمَةُ) :

— بَلَى وَاللَّهِ ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ .

وَهُنَا كَانَتْ النِّسَاءُ يُبْدِينَ دَهْشَتَهُنَّ وَيَقُلْنَ فِي اسْتِغْرَابٍ :

— وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا .

وَقَامَ زَوْجُ السَّيِّدَةِ (حَلِيمَةُ) إِلَى النَّاقَةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تُحْلِبُ ، وَحَافِلُ  
إِنْ يَحْلِبَهَا حَتَّى يَشْرَبَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ ، وَمَا إِنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الضَّرْعِ  
حَتَّى نَزَلَ اللَّبَنُ بِغَزَارَةٍ ، فَشَرِبَ وَشَرَبَتْ زَوْجَتُهُ حَتَّى شَبِعَا .  
وَنَظَرَ الزَّوْجُ طَوِيلًا إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ الَّذِي جَاءَتْ الْبَرَكَةُ بِقُدُومِهِ ،  
وَقَالَ لَزَوْجَتِهِ :

— تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ يَا (حَلِيمَةُ) ، لَقَدْ أَخَذَتْ نَسْمَةٌ مُبَارَكَةٌ .

فَأَجَابَتْ (حَلِيمَةُ) : — وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرْجُو ذَلِكَ .

وَكَانَ اللَّبَنُ لَا يَنْزِلُ مِنْ ثَدْيِي (حَلِيمَةُ) قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ الصَّبِيَّ إِلَّا قَلِيلًا ،  
وَبِمَجْرَدٍ أَنْ وَضَعَتْهُ عَلَى حَجَرِهَا تَدَفَّقَ اللَّبَنُ ، فَشَرِبَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ







وشرب ابنها حتى شبعًا .

وفى ديار (بنى سعد) قبيلة السيدة (حليمة) زاد الخير حتى لاحظته  
الناس جميعًا بعد أن قدمت (حليمة) بمحمد . تقول السيدة (حليمة) :  
- ثم قدمنا منازلنا ، من بلاد بنى سعد - وما أعلم أرضًا من أرض  
الله أجذب منها - أى لا زرع فيها ..

فكانت غنمى تروح على - حين قدمنا بمحمد معنا - شباعا لبنا  
فنحلب ونشرب ، وما يحلب غيرنا قطرة لبن ، ولا يجدوها فى ضرع .  
حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعايتهم :

- ويلكم اسرحوا حيث يروح راعى بنت أبى ذؤيب (حليمة السعدية) .  
فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لبنا .  
فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير ، حتى مضت سنتاه وفصلته .  
ولما بلغ (محمد) السادسة من عمره ماتت أمه ، فأصبح يتيم الأب  
والأم ، لكن الله تعالى قد أحاطه بعنايته ، ومن كان فى عناية الله عز  
وجل ورعايته فلا خوف عليه .

وكفله جده (عبد المطلب) ، ولاحظ منذ طفولة هذا الصبي ، أنه ليس  
صبيًا عاديًا ، لكنه صبي نايه ذكى ، تبدو عليه ملامح النجابة والطموح .  
كان لعبد المطلب (بساط) لا يجلس عليه أحد سواه - وهذا تقليد  
كان معروفًا عند العرب فى الجاهلية يعبرون به عن احترامهم للكبير







وتقدِّرهم لمكانته . ولم يكن أحدٌ من أبناء (عبد المطلب) يَجْرُو على  
الجلوسِ على هذا البساطِ .

لكن (عبد المطلب) كان يأخذُ حَفِيدَهُ ويَجْلِسُهُ على هذا البساطِ ، أو كان  
هذا الحفيدُ يَجْلِسُ من تلقاء نفسه عليه ، وإذا ما حاول أحدُ أعمامه  
أن يَمْنَعَهُ كان (عبد المطلب) يَزْجُرُهُ ويقولُ :

— دَعُوهُ ، فَإِنَّ دَمَ السِّيَادَةِ يَجْرِي فِي عُرْوَةِهُ ، وَرُوحُ الْمَجْدِ يَمْلَأُ حَوَانِجَهُ ،  
وَالنَّزْوَعُ إِلَى الرَّفْعَةِ يَدْفَعُ بِهِ إِلَى الْمَكَانِ الْعَالِيِّ .

وكان أبناءُ (عبد المطلب) يُلْحَثُونَ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِكَيْ يَفْسِّرَ لَهُمْ ذَلِكَ ،  
ولماذا لَمْ يَخْتَصْ أَحَدًا غَيْرَ (محمد) بهذه المِكانَةِ ، فكان يُجِيبُهُمْ قَائِلًا :

— لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِي ،  
لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ ، وَطَرَفٌ فِي الْمَشْرِقِ وَطَرَفٌ  
فِي الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ كَانَهَا شَجَرَةً ، عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مِنْهَا نُورٌ .

وإذا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَانَتْهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا وَيَحْمَدُونَهَا .  
ورَأَيْتُ أَنَّ رَجُلًا يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِي ، تَدِيرُ لَهُ الْغَرْبُ بِالطَّاعَةِ ،  
وَتُعْتَرِفُ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَتَذْعَنُ لَهُ بِالشَّرَفِ ، وَتُؤْمِنُ لَهُ بِالسُّلْطَانِ

كان هذا الحديثُ الهامسُ يَدُورُ بَيْنَ (عبد المطلب) وأبنائه بعيدًا عن  
أَسْمَاعِ (محمد) ﷺ الذي كان مُشْغُولًا بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ .

وعاشَ (محمد) الْيَتِيمُ فِي كِفَالَةِ عَمِّهِ (أبي طالب) بَعْدَ أَنْ مَاتَ







جَدُّهُ ، فَكَانَ (أَبُو طَالِبٍ) يَغْتَبِرُهُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَسَانِهِ ، بَلْ إِنْ حُبَّهُ  
(لِمُحَمَّدٍ) كَانَ يَزِيدُ عَلَى حُبِّهِ لِسَائِرِ آبَائِهِ .

وَفِي طِفْلُوَّتِهِ الْمُبَكَّرَةِ ، أَحْسَنَ (مُحَمَّدٌ) بِقِيَمَةِ الْعَمَلِ وَأَهْمِيَّتِهِ ، فَعَمِلَ  
فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ ، لِكَيْ يُدَبِّرَ لِنَفْسِهِ وَسِيلَةَ الْكَسْبِ .

لَقَدْ كَانَ الْعَمَلُ بِالنِّسْبَةِ لِهَذَا الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يُمَثِّلُ قِيَمَةً كُبْرَى وَهَدَفًا  
شَامِيًا ، لِذَلِكَ فَسُوفَ نَرَاهُ خَرِيصًا عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الْعَمَلِ الْمُنَاسِبِ دَائِمًا .

فَعِنْدَمَا بَلَغَ الْعَاشِرَةَ ، خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) فِي رِحَالَتِهِ التِّجَارِيَّةِ  
خَارِجَ مَكَّةَ ، لِكَيْ يَكْتَسِبَ خَبْرَةً فِي التِّجَارَةِ وَيَتَعَرَّفَ عَلَى الثَّجَارِ

وَكَانَتِ الْبَرْكَةُ تُتَلَازِمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَذْهَبُ إِلَيْهِ ، كَمَا كَانَتِ  
الْمُعْجِزَاتُ تَحْدُثُ لَهُ وَيُشَاهِدُهَا الْبَعْضُ .

فَفِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ ذَهَبَ (مُحَمَّدٌ) وَهُوَ فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ  
مَعَ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) إِلَى أَرْضِ بَصْرَى فِي الشَّامِ .

وَكَانَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ عَالَمٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ يُدْعَى (بَحِيرَا) ،  
كَانَتِ الْقَوَافِلُ التِّجَارِيَّةُ تَمُرُّ بِهِ ، وَأَخْيَانًا تَخْلُسُ فِي دَارِهِ لَتَرْتَاحَ

وَيَسْمَا كَانَ (بَحِيرَا) وَاقِفًا أَمَامَ بَيْتِهِ رَأَى قَافِلَةً مِنْ قُرَيْشٍ قَادِمَةً مِنْ  
بَعِيدٍ ، وَأَمْنَى (بَحِيرَا) النَّظْرَ فَوَحَّدَ غَمَامَةً فِي السَّمَاءِ تَسِيرُ مَعَ الْقَافِلَةِ

خُطْوَةً فَخُطْوَةً ، وَلَكِنَّهَا تَطْلُلُ عَلَامًا صَغِيرًا بَيْنَهُمْ .  
وَعِنْدَمَا مَرَّتِ الْقَافِلَةُ بِبَيْتِهِ أَبْدَى تَرْحَابَهُ بِهِمْ وَدَعَاهُمْ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ







عده ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك .

وربط (أبو طالب) إبله هو ومن معه ثم أشرعوا إلى بيت (بحيرا) ،  
بينما بقي الغلام (محمد) بالخارج مُسْتَظِلًّا تحت ظل شجرة  
وراح (بحيرا) يتفحص في الوجوه التي أمامه فلم يلمح الغلام  
الذي كانت السحابة تظله ، فسأل (أبا طالب) في لهفة :

— أليس معكم أحد بالخارج ؟

فأجاب (أبو طالب) :

— إنه ابني تركناه بحوار القافلة .

فقال (بحيرا) :

— ادعه فليدخل .

ودعا (أبو طالب) ابن أخيه (محمدًا) ، فأخذ (بحيرا) يدثو منه وهو  
يتفحص ملامحه في دقة ، ثم سأله قائلاً :

— يا غلام ، أسألك باللات والعزى ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

فقال (محمد) :

— لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضى لهما .

فاستخلفه (بحيرا) بالله ، ثم سأله :

— أتحب العزلة ؟

فأجاب (محمد) :





- نَعَمْ .

فَسأَلَهُ ثَانِيَةً :

- وَهَل تُحِبُّ التَّأَمُّلَ فِي الشُّجُومِ ؟

فَأَجَابَ :

- نَعَمْ .

فَقَالَ (بَحِيرًا) :

- أَتُلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ كَمَا يَلْعَوْنَ ؟

فَقَالَ (مُحَمَّدٌ) :

- لَا .

فَسأَلَهُ (تَحِيرًا) :

- أَتَرَى فِي نَوْمِكَ رُؤْيً تَصْدُقُ فِي يَقْظَتِكَ ؟

فَأَجَابَ (مُحَمَّدٌ) :

- نَعَمْ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى (بَحِيرًا) مِنْ أَسْئَلَتِهِ لـ (مُحَمَّدٍ) انْتَفَتَحَ إِلَى عَمِّهِ (أَبِي

طَالِبٍ) وَسأَلَهُ :

- خَبِّرْنِي ، مَا هَذَا الْعَلَامُ مِنْكَ ؟

فَأَجَابَ (أَبُو طَالِبٍ) :

- إِنَّهُ ابْنِي .





فأنكر (بحيرا) على (أبي طالب) قوله وقال في يقين :  
- ما هو بأبيك ، وما ينبغي أن يكون أبوه حيا .  
فقال (أبو طالب) :

- صدقت ، هو ابن أخى ، وقد مات أبوه ، وأمه حبلى به ، فكملة  
أنا لأنه يتيم .

وعندما أتم (أبو طالب) كلامه ، همس (بحيرا) فى أذنه قائلا :  
- صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه من اليهود .  
فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيعته سرا ، فإنه كائن لابن أخيك  
هذا شأن عظيم ، نجده فى كتبنا وما روينا عن آبائنا .  
فرجع (أبو طالب) ، وكلام (بحيرا) يدوى فى أذنيه . وازداد  
إحلاله وحبته لابن أخيه ، كما ازداد حرصه وخوفه عليه .

لقد جمع (محمد) ﷺ فى طفولته كل الصفات الحميدة  
والأخلاق الرفيعة ، والفكر الصائب ، والنظر السديد الموفق .  
فإضافة إلى استثماره للوقت فيما يفيد ، وبخشه عن العمل النافع ،  
كان (محمد) ﷺ فى طفولته مبتعدا عن اللهو وإصاعة الوقت فيما لا يفيد .  
فقد قال ﷺ عن هذه المرحلة المبكرة من عمره :  
- « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين ،  
كل ذلك يحول الله بينى وبينه . »





« ثم ما هَمَمْتُ به حتى أَكْرَمَنِي مِرْسَالَتِهِ .

قُلْتُ لَيْلَةً لِلْغُلَامِ الَّذِي يَرْعَى مَعِيَ الْعَنَمَ بِأَعْلَى مَكَّةَ : لو أَتَصَرْتُ  
لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ وَأَسْمُرُ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ !  
» فَقَالَ : - أَفْعَلُ .

» فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ عِنْدَ أَوَّلِ دَارِ بِمَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا .  
» فَقُلْتُ : - مَا هَذَا ؟

» فَقَالُوا : - غَرَسُ فُلَانٍ بِفُلَانَةٍ .

» فَحَلَسْتُ أَسْمَعُ . فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي فَنَمْتُ ، فَمَا أَتَقَظْنِي إِلَّا  
حَرَّ الشَّمْسِ .

» فَقَدْتُ إِلَى صَاحِبِي ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ .

» ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ . فَدَخَلْتُ مَكَّةَ فَأَصَابَنِي مِثْلُ أَوَّلِ  
لَيْلَةٍ ..

» ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ .

إِنَّ (مُحَمَّدًا) ﷺ عَاشَ طُفُولَتَهُ بَعِيدًا تَمَامًا عَنِ اللَّهْوِ ، وَشَعَلَ نَفْسَهُ  
بِالتَّأَمُّلِ فِي الْكُؤُنِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَسْرَارِهِ ، وَعَاشَ عَيْشَةَ الرِّجَالِ الْكَفَّارِ  
ذَوِي الْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْأَعْبَاءِ الْحَسِيمَةِ .

وَبَحَثَ ﷺ لِنَفْسِهِ عَنْ عَمَلٍ يُنَاسِبُهُ ، فَعَمِلَ فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ ، ثُمَّ  
اشْتَعَلَ بِالتَّجَارَةِ بَعْدَ أَنْ تَدَرَّبَ عَلَى أَصُولِهَا وَأَلَمَ بِكُلِّ حَوَاسِهَا .





وَلَمْ يَعِشْ (مُحَمَّدٌ) ﷺ حَيَاتِهِ كَمَا كَانَ يَعِشُ أَطْفَالُ مَكَّةَ الْعَادِيينَ ،  
بَلْ تَعَلَّبَ عَلَى كُلِّ الظُّرُوفِ الصَّغِيرَةِ ، وَعَاشَ فِي اسْتِقَامَةٍ وَطَهْرٍ وَرَجُولَةٍ .  
وَقَدْ رَأَى أَهْلُ مَكَّةَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي (مُحَمَّدٍ) ﷺ مُنْذُ  
طُفُولَتِهِ ، فَكَانُوا يُخَضِّرُونَهُ اجْتِمَاعَاتِهِمُ الْمُهَيَّمَةَ لِكَيْ يَنْتَفِعُوا بِرَأْيِهِ  
بِرَغْمِ حَدَاثَةِ سِنِّهِ .

فَقَدْ اشْتَرَكَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ فِي أَكْثَرِ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ (حِلْفُ  
الْفُضُولِ) .

وَقِصَّةُ (حِلْفِ الْفُضُولِ) هَذَا هِيَ مَا يَلِي :

فَقَدْ نَشِبَتِ الْحَرْبُ وَاشْتَدَّ أَوَارُهَا بَيْنَ (قُرَيْشٍ) وَبَعْضِ الْقَبَائِلِ  
الْعَرَبِيَّةِ الْآخَرَى .

وَوَظَلَّتْ هَذِهِ الْحَرْبُ مُشْتَعِلَةً طِيلَةَ أَرْبَعَةِ أَغْوَامٍ كَامِلَةٍ ، وَكَانَ مِنْ  
نَتِيجَةِ هَذِهِ الْحَرْبِ : مَقْتُلُ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ (قُرَيْشٍ) وَمِنْ  
الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ بِدُونِ ذَنْبِ جَنَاحِهِ .

وَلَمَّا طَالَ مَدَى الْحَرْبِ ، وَرَأَى شُبُوحُ الْقَبَائِلِ أَنَّ الدِّمَاءَ تَسِيلُ بِدُونِ  
وَحْيِهِ حَقًّا ، قَرَّرُوا أَنْ يَعْقِدُوا صُلْحًا بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَنَازِعَةِ

وَدَعَا (الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَاجْتَمَعَتْ  
(بَنُو هَاشِمٍ) وَ(زُهْرَةُ) وَ(تَيْمٌ) فِي دَارِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ) .

وَفِي دَارِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ) تَعَاقَدَ شُبُوحُ الْقَبَائِلِ وَتَعَاهَدُوا بِاللَّهِ





الْمُنْتَقِمِ الْجَنَارِ لِيَكُونَنَّ مَعَ الْمَظْلُومِ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ حَقُّهُ .

وفى هذا الاجتماع المهم الذى لم يشهده سوى رؤساء القبائل وشيوخها ، كان (محمد) ﷺ حاضراً هذا الحلف ، الذى سماه العرب به (حلف الفضول) ، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً .  
وقال عن هذا الحلف :

— ما أحبُّ أنْ لى محلفٍ حضرته فى دار (ابن جُدعان) حُمْرُ النِّعَمِ .  
وَلَوْ دُعِيتُ إِلَيْهِ لِأَجَبْتُ — أى فى الإسلام .

وإذا كان (محمد) ﷺ قد أدرك قيمة العمل ، وشارك فى الحياة الاجتماعية فحضر المؤتمرات والأحلاف المهمة ، فإنه — منذ وقت مبكر — قد كان سباقاً فى الإصلاح بين القبائل المتحاربة وحقق دمائها ، وذلك بما كان يتمتع به من راحة عقل وحكمة .

فقبل بعثة (محمد) ﷺ ، اختلعت القبائل العربية وجمعت الحجارة لكى تبس الكعبة بعد أن هدمت . وكانت كل قبيلة تعمل على حدة . واختلف أهل قريش وتنازعوا فىمن يكون له شرف وضع حجر الركن ، وأرادت كل قبيلة أن تنال هذا الشرف لنفسها ، مما أدى إلى نزاع شديد كاد يقود إلى حرب ضروس

وحمل أفراد كل قبيلة السلاح ، واستعدوا للقتال والحرب  
وتدخل غفلاء القبائل لكى يمنعوا هذا الخطر قبل أن يستفحل .





فَأَقْتَرَحَ أَحَدُهُمْ قَائِلًا :

- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! احْقِنُوا دِمَاءَكُمْ ، وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ - فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ - أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ لِيُقْضَى بَيْنَكُمْ فِيهِ .  
وَأَعْجَبَ هَذَا الْاِقْتِرَاحُ (قُرَيْشًا) فَوَافَقُوا وَتَنَظَّلُوا إِلَى أَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ الْبَابِ ، فَكَانَ هُوَ (مُحَمَّدًا) ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا :  
- هَذَا الْأَمِينُ ! هَذَا (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) . . . رَضِينَا بِحُكْمِهِ .  
فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

- يَا مُحَمَّدُ ! تَعْلَمُ أَنَّا كُنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ! وَأَنَّ الْقَبَائِلَ جَمَعَتِ الْحِجَارَةَ لِبُنَانِهَا ، كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ شَيَّدْنَاهَا حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ كَمَا تَرَى ، فَاخْتَصَمْنَا فِيهِ ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْآخَرَى ، حَتَّى كَادَ يَنْشَبُ بَيْنَنَا الْقِتَالُ . . . وَقَدْ رَأَيْنَا الْآنَ أَنَّ نَحْنَكُمْ إِبْنُكَ فِي أَمْرِهِ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِمَا تَرَى .  
وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ قَالَ لَهُمْ (مُحَمَّدٌ) :

- هَلُمَّ إِلَى ثَوْبٍ .

فَاتَوَّهُ بِثَوْبٍ فَقَرَشَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَحَدَ خَجَرَ الرُّكْنِ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :  
- لِنَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا .  
فَفَعَلَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ ، وَضَعَهُ (مُحَمَّدٌ) بِيَدِهِ ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ .





وَحَدُولِ الشَّيْطَانِ - الَّذِي كَانَ عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ أَغْرَابِيٍّ - أَنْ يُحَرِّصَ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى (مُحَمَّدٍ) لِكَيْ يَسْتَمِرُّوا فِي الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، فَقَالَ :  
- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! أَرْضَيْتُمْ أَنْ يَضَعَ هَذَا الرُّكْنَ - وَهُوَ شَرْفُكُمْ -  
عَلَامٌ يَتِيمٌ دُونَ ذَوِي أَسْنَابِكُمْ ؟

لَكِنِ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ انْتَهَتْ إِلَى حِيلَتِهِ ، فَرَجَمُوهُ وَقَالُوا :  
- أَغْرَبٌ عَنَّا . لَا شَأْنَ لَكَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ . إِنَّ هَذَا الْعَلَامَ الْيَتِيمَ لَخَلِيقٌ  
أَنْ يَجْمَعَ رَأْيَ الْعَرَبِ يَوْمًا وَأَنْ يُؤْخَذَ النَّاسُ .  
وَاسْتَطَاعَ (مُحَمَّدٌ) بِحُكْمَتِهِ أَنْ يَمْنَعَ شَرًّا كَبِيرًا بَيْنَ الْعَرَبِ ،  
لَوْ حَدَّثَ لِأَرِيْقَتٍ فِيهِ الدَّمَاءُ أَنْهَارًا .

وَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ لَمْ يُوحِ إِلَهُ إِلَيْهِ بَعْدُ .  
وَلَمْ يَكْتَفِ (مُحَمَّدٌ) بِالْعَمَلِ فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ وَالتَّجَارَةِ مَعَ  
عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) . . . بَلْ عَمِلَ فِي التَّجَارَةِ مَعَ السَّيِّدَةِ (خَدِيجَةَ بِنْتِ  
خُوَيْلِدٍ) وَهُوَ فِي بَدَايَةِ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ .

وَالْعَمَلُ مَعَ السَّيِّدَةِ (خَدِيجَةَ) فِي التَّجَارَةِ ، كَانَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْعَمَلِ  
مَعَ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) ، لِأَنَّهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَ يَعْمَلُ مَعَ امْرَأَةٍ مِنْ أَكْثَرِ  
نِسَاءِ قُرَيْشٍ ثَرَاءً وَجَاهًا ، وَكَانَ يَخْرُجُ فِي رِحَالٍ تِجَارِيَّةٍ طَوِيلَةٍ ،  
وَيَكُونُ هُوَ الْمُسْتَوَلَّ عَلَى الْقَافِلَةِ وَمَا تَحْمِلُهُ .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ (خَدِيجَةُ) هِيَ الَّتِي عَرَّضَتْ عَلَى (مُحَمَّدٍ) أَنْ يَعْمَلَ







لَدَيْهَا فِي التِّجَارَةِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ بِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ لَدَى  
أَهْلِ مَكَّةَ بِـ (الصَّادِقِ الْأَمِينِ) .

وَكَانَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ سَبَبَ خَيْرٍ وَبِرَكَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِتِجَارَتِهَا ، فَقَدْ  
تَضَاعَفَتْ أَرْبَاحُهَا وَزَادَتْ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ .

وَلَا حَظَّ مَنْ كَانَ يَخْرُجُ مَعَ (مُحَمَّدٍ) ﷺ فِي هَذِهِ الرُّحَلَاتِ  
التِّجَارِيَّةِ ، أَنَّ غَمَامَةً مِنَ السَّمَاءِ تُظِلُّهُ مُنْذُ أَنْ يَخْرُجَ وَحَتَّى يَعُودَ ،  
كَمَا سَمِعَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ اتَّقَى بِهِمْ (مُحَمَّدٌ) فِي بِلَادِ الشَّامِ  
أَنَّهُ سَيَكُونُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَيُخْرِجُ  
النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وَعِنْدَمَا رَأَتْ السَّيِّدَةُ (خَدِيجَةُ) الْبِرَكَّةَ عَلَى يَدِ (مُحَمَّدٍ) ﷺ ،  
وَسَمِعَتْ عَنْ مُعْجَزَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ ، رَغِبَتْ فِي أَنْ يَكُونَ (مُحَمَّدٌ) زَوْجًا  
لَهَا ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَغْنَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ زُعَمَاءُ  
الْقَبَائِلِ يَرْغَبُونَ فِي الزَّوْاجِ مِنْهَا وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَرَفُضُ وَتَأْبَى ، وَقَدْ  
أَرَادَتْ أَنْ تَنَالَ شَرَفَ الزَّوْاجِ مِنْ نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ . فَكَانَ لَهَا هَذَا الشَّرَفُ .  
وَفِي سِنٍّ مُبَكَّرَةٍ ، حُبِّبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ الْعُزْلَةُ ، وَالِاخْتِلَاءُ  
بِنَفْسِهِ لِكَيْ تَكُونَ أَمَامَهُ الْفُرْصَةُ لِلتَّفَكُّرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .  
وَلَعَلَّ الْعُزْلَةَ تَمْنَحُ الْإِنْسَانَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاءِ وَنِقَاءِ النَّفْسِ وَالتَّفَكُّيرِ  
بِهَدْوٍ .







و(محمد) في عزلة لم يكن بعيداً عن الناس وما يحدث في مكة ،  
ولكنه كان يتزود بالصفاء ونقاء النفس والحكمة ، ثم يخالط الناس  
ويتدمج في المجتمع ويحضر اجتماعاتهم وندواتهم ، ويشترك في حل  
المشاكل ووضع الحلول كما رأينا .

ولعل (أشبال الإسلام) قد عرفوا الآن الفرق بين عزلة (محمد)  
وخلوته قبل بعثته ، وبين اعتزال بعض الناس وعدم مشاركتهم في  
قضايا مجتمعهم . إن عزلة كانت فرصة للتأمل والتفكير والبعد عن  
اللغو وصخب الحياة ، لكن هذا كله لم يمنع أن يسهم في حل قضايا  
أهله وبلده .

وكانت هذه العزلة في الفترة التي سبقت نزول الوحي على  
(محمد) ﷺ بمثابة تهيئة نفسه وروحه لتلقي هذا الوحي الذي  
أضاء المجتمع نوره وأخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وهكذا كانت طفولة الرسول ﷺ مثلاً حياً وتجسيدا لحياة أعظم  
مخلوق ، طفولة فيها الإحساس بالمسؤولية ، وتقدير قيمة العمل ،  
والاستقامة والطهر ، والابتعاد عن اللغو .

طفولة عرف صاحبها بالحكمة والتأمل والمشاركة في قضايا المجتمع  
وحضور مؤتمراتهم والسعي من أجل قضاء مصالح الناس .

( تَمَّتْ )

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

الرقم الدولي : ٤ - ٣٠٧ - ٢٦٦ - ٩٧٧